

دائرة شؤون اللاجئين

حركة المقاومة الإسلامية - حماس



اللاجئون في "الجزر اليونانية".. حلم "الحياة الوردية" يتحول إلى كابوس!

مخيمات معزولة عن المدن اليونانية الأخرى، يتوزع اللاجئون والمهاجرون على نحو 12 جزيرة يونانية، أبرزها خيوس، سيروس، وساموس، وميتليني، وكوس.. هنا حيث يتحول حلم "الحياة الوردية" في أوروبا إلى "كابوس". أناس عايشوا قسوة تجربة يروون لصحيفة "فلسطين" مآسي القوارب التي تذهب فلا تعود، فيظل اللاجئ يعيش بين غابات وأماكن أشبه "المعتقل" إلى أن تأتي "رحمة" الخروج إلى بلجيكا، وقد تستغرق شهراً أو أعواماً. بكاميرا هاتفه الخليوي اصطحبنا خالد مقادمة (24 عاماً) في جولة داخل مخيم اللاجئيين "الكامب" في جزيرة "ساموس" اليونانية، بدأ في التصوير من خارج المخيم نجولاً بين مئات الخيام المصنوعة من القماش والأخشاب، والمنتشرة بين أشجار وحشائش متلاصقة، وأمامها الملابس مبللة المنشورة على الحبال مع انتشار القمامة بين أزقتها، تجد أمامك أشخاصاً من جنسيات مختلفة من السودان وإثيوبيا والعراق وسوريا واليمن وفلسطين، وغيرها. ويصف المقادمة الحال في المكان الذي يوثق الحياة فيه بقوله: "الوضع هنا صعب جداً، اللاجئون ينامون في الغابات لأن الطاقة الاستيعابية داخل المخيمات امتلأت أضعاف ما يمكنها استيعابه، في الخارج اللاجئون يحرمون من وجبات الطعام "السيئة" التي تقدم في الداخل". فالحياة الوردية التي كان يرسمها المقادمة الذي غادره مطلع العام الجاري، تبدلت إلى جحيم بعد أقل من شهر على وجوده في جزيرة ساموس، يضيف: "لم أجد مكاناً لي في الكامب (مقر لتجميع اللاجئيين بالجزيرة) فوضعت فيما يشبه الخيمة في الغابة. لم أتخيل أن تكون الحياة هنا بهذا الشكل".

تقدم خطوات إلى داخل المخيم عبر البوابة الرئيسية الحديدية، يقف على أبوابها حراس من الشرطة اليونانية، ومحاطة بسياج حديدي. والكامب هو القاسم المشترك بين جميع الجزر اليونانية، يضم كرفانات أو خياماً كبيرة بها غرف خشبية يعيش فيها عائلات وشباب لاجئون، في مكان أشبه بالسجن، أعاد ذاكرة المقادمة إلى الحياة في قطاع غزة الذي يحاصره احتلال الإسرائيليين من كل جانب منذ 13 عاماً. أما عن الطعام فيوضح المقادمة: "هنا يقدمون ثلاث وجبات، الفطور والعشاء وباردة عن "ساندويتش" لا يشبع طفلاً، ووجبة الغداء إما عدس وإما فاصولياء معظمه غير صحي، والوجبة لا تكفي فرداً". ومر المقادمة بهاتفه أمام دائرة شؤون اللاجئيين، على أبوابها يصطف العشرات من اللاجئيين من جنسيات مختلفة، كانت أبوابها مغلقة أمامهم، يعلق على المشهد بنبرة صوت غاضبة: "في السابق كان اللاجئ بعدما يمضي فترة ثلاثة أشهر يذهب لمقابلة هذه الدائرة حتى تنظر في قضيته وتعطيه إقامة، أما اليوم فيظل يعيش بين الغابات والأشجار لعام كامل ولم يأت موعد نابلته". المخيمات لا تصلح لعيش الحيوانات، المخدرات أصبحت منتشرة بكثرة، والسلطات اليونانية ليست لديها رحمة بخارج اللاجئيين إلى العاصمة أثينا. نعيش بين النفايات، تصطف هنا بالساعة حتى تجري معاملة بسيطة" هكذا يواصل وصفه. صار فصل الشتاء هاجساً يؤرق المقادمة وغيره من اللاجئيين هناك، مفسراً أنه "في الشتاء درجة الحرارة منخفضة جداً لا تحبها إنسان، تنخر البرودة العظام، والمطر لا يتوقف، الناس هنا خائفة من اقتراب الفصل". انتظار "لم الشمل" اليونان ليست جنة، هنا اللاجئ مدلول مقهور، أوضاع المخيمات صعبة، فلا يوجد أدنى اهتمام من السلطات اليونانية التي أقامت مخيمات اللاجئيين في أماكن بعيدة عن المدن والضواحي اليونانية، بأماكن معزولة عن المواصلات، والآن تحملت وأنتظر "لم الشمل"، ولقاء أبي الموجود في بلجيكا، هذا ملخص حياة الفتاة الغزية أسماء إبراهيم -اسم مستعار- (26 عاماً) بعدما رفضت كشف عن اسمها الحقيقي. والفتاة إبراهيم غادرت القطاع في 7 أغسطس/ آب 2017، ووصلت إلى هنا، فتصف حالها: "فكرت لهجرة من غزة نظراً لظروفها القاسية بسبب الحصار، بعدما تخرجت في الجامعة ولم أجد أي مستقبل واضح أمامي، قررت الهجرة إلى بلجيكا، مررت والمهاجرين أمثالي بالطريق المعروفة من مصر إلى تركيا، وعانينا من جشع المهربين لسماسة، في الغربية حتى أولاد بلدك يسمسون عليك". وتضيف: "كنت أريد المرور من اليونان إلى بلجيكا بسرعة، لكن أمور على أرض الواقع ليست كما في التوقعات أو الأمنيات، فبعد عدة محاولات لمغادرة تركيا عن طريق البحر، استطعت في المحاولة السادسة الوصول للجزر اليونانية، برفقة والدي وشقيقي الصغير". لكن الذي جرى كان مخالفاً لكل مخطط عائلي، فظروف الهجرة أجبرتها على الافتراق إلى حين اللقاء، وما زالت تذكر ذلك اليوم جيداً: "تعب أبي من رحلة السفر، وأولنا الخروج معاً لكن لم نستطع، فأصررت على أبي بالسفر إلى بلجيكا، وفي يوم صعدت الطائرة لكنني خفت على أخي الصغير (14 عاماً)، فنزلت وأفصحت عن نفسي بأنني مسافرة بطريقة غير رسمية، وإلى الآن ننتظر لم الشمل مع أبي". وتوجد فتاة إبراهيم بأحد المخيمات ليس في الجزر بل في العاصمة "أثينا"، حيث يعيش هنا كل خمسة إلى ثمانية أشخاص في كرفان، والعائلة الواحدة تعيش في كرفان واحد. أرسلت لنا صوراً لشقيقها يظهر فيها حبوب جلدية في جسمه من أثر المياه ملوثة والحشرات التي تزيد الالتهابات، فالكرفانات التي يعيشون فيها تفتقر لأدنى مقومات النظافة، عدا عن أن الأماكن هنا بيئة بالحشرات والأفاعي. القنصلية غائبة "السفارة الفلسطينية ليس لها دور هنا"، كلمات استهل بها الشاب محمد أبو نحل موجود بجزيرة "ليروس"، مضيفاً: "حينما نحتاج السفارة لأموار طارئة مثل إرجاع متوفى أو إجراءات أخرى، إذا لم يحدث غط على مواقع التواصل الاجتماعي لا تتحرك، فأغلب من يذهبون للسفارة لإجراء معاملة استخراج بدل جواز سفر مفقود، تقبله". وإذا كان من الصعب توافر الطعام بالمخيم، فإن المشروبات الكحولية موجودة بكثرة، يقول عن تعاظم اللاجئيين مخدرات: "الوقت الفراغ هما ما يدفعا نهم لذلك، فالجزر وضعها مأساوي، وإجراءات الحياة صعبة، فهم يخرجون من هذه أجواء لعالم المخدرات لكون الحصول عليها سهلاً". ولا ينسى أبو نحل أصعب ما مر به هنا، يقول: "خرجت من غزة في مايو/ أيار 2018، ومكثت في تركيا عدة أشهر، وعندما وصلت في نهاية العام ذاته الجزر اليونانية، حجزت لمدة 25 يوماً بغرفة واحدة مع عشرين شخصاً، وكان الروتين اليومي النوم والاستيقاظ وأمامك ساحة صغيرة محاطة بسياج، في مكان أشبه بالسجن، بعد أيام عمرك التي تذهب سدى أمام عينيك ولا تستطيع الهروب من هذا الجحيم".